دور الإيمان
في تأهيل الشعور بالمسؤولية ومحاسبة النفس

حسين حسن كريم(*)

مقدمة

حمداً لمن جعلنا من عباده المؤمنين، وهدانا إلى صراطه المستقيم، وأرانا خير الطرق للوصول إليه بإتباع سنة نبيه الأمين، والإقتداء بالعلماء العاملين والمرشدين المنورين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الأفاضل! إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن هيأ الله لنا جميعاً الفرصة للمشاركة ببحوث متواضعة في هذا المؤتمر الكريم عن أنوار مشعة أضاءت الأنفس والآفاق، لانبعاثها من شمس أبدية مشرقة هي القرآن الكريم، ولأنها جادت بها روح وإيمان وأنامل مَن قدّر الله سبحانه له أن يكون منقذَ الإيمان حاميَ بيئته مرشدَ المؤمنين في عصر كاد الكفر والظلم والنفاق والدسائس الشيطانية أن تعم بلاد المسلمين وتهلك حرثهم ونسلهم.

وأعبر عن شكري وامتناني للإخوة القائمين بإعداد هذا المؤتمر، فسهروا الليالي وقضوا أيامهم في تعب وعمل جاد لتنظيم المؤتمر وإنجاحه. جزاهم الله خيراً.

إن البحث المتواضع الذي قمت بإعداده يدور في فلك إحدى الفقرات التي عينها الإخوة المُعِدّون للمؤتمر، وهي فقرة: (دور الإيمان في تأهيل الشعور بالمسؤولية ومحاسبة النفس). وبما أن حجم البحوث قد حدد لديهم بألا يتجاوز (خمس عشرة) صفحة، أقدم اعتذاري في إنني لم أوف الموضوع حقه ومستحقه. فما قمت به غيض

(*) مدرس مساعد في كلية العلوم الإنسانية، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة السليمانية – العراق.
faruq.r@gmail.com

من فيض، وما أحوجَ السباحَ في بحر رسائل النور إلى تزوده بمعرفة فنون العوم، ومهارته الكاملة في أن يستخرج درة واحدة من درره وجواهره الثمينة! وبمقتضى الآية الكريمة: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) واعترافنا الصريح بعجزنا وضعفنا في فن السباحة تلك، نعرض على مسامعكم الكريمة ما حدثتنا به خواطرنا ومشاعرنا المضاءة إلى حد ما بضياء (رسائل النور) وبمنهج مؤلفها بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) صاحبِ الطريقة المستقيمة في حياته، العالمِ الذي نذر نفسه أن يكون مشروعاً دائماً للفداء لكل كلمة وكل حقيقة من كلمات الله التامات وحقائق القرآن العظيم.

ويتناول بحثي – باختصار شديد - أربعة محاور:

١ - محور دور الإيمان في تأهيل الشعور بالمسؤولية.

٢ - الفرق بين المؤمن والكافر في العمل والإبداع والبناء.

٣ - بعض ثمار الإيمان.

٤ - محاسبة النفس الأمارة بالسوء، وأن تزكيَتَها في عدم تزكيتِها.

أسأل الله العليم الحكيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويجعل هذا المؤتمر والبحوث التي تقدم فيه نبراساً يستضاء به في اهتداء الناس بهدي الإسلام الحنيف، وفي أن تفيض على المؤمنين قاطبة بركات رسائل النور.

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، ووفقنا لإتباع سنة رسولك الأمين، واجعل رسائل النور فيوض رحمتك على قلوب المتقين، واجعل مؤلفها وطلابها ومن استنار بنورها من ورثة جنة النعيم، آمين. والحمد لله رب العالمين.

المحور الأول

(دور الإيمان في تأهيل الشعور بالمسؤولية)

الإيمان تناوله علماء المسلمين من كل جوانبه: حقيقته، نواقضه، ثماره، ومعناه اللغوي والاصطلاحي في شرع الله تعالى. فإنه جاء بمعنى (الأمن) أي الطمأنينة. قال تعالى: ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤). ومنه اسم الله تعالى (المؤمن) لأنه أمَّن عبادَه من أن يظلمهم. وهذا المعنى ليس هو المطلوب بالنسبة لدخول المرء في الإسلام، لذلك فالإيمان هو هوية المسلم ووسيلته لكسب رضا الله سبحانه، والوصول إلى جنته

الخالدة. فالإيمان هو التصديق. فـ(آمنت بالله) أي صدقت به. وهذا المعنى يتضمن بالضرورة المعنى الأول وهو الأمن والطمانينة. فالإيمان في شرع الله تعالى وكما اتفق عليه أهل السنة والجماعة هو شهادة التوحيد التي هي (تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (الأحقاف: ١٣).

قال الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري وغيره من أئمة الحديث: (أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[١].

وهذا موافق للآية الكريمة: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾. (التوبة: ٥).

وحديث الإيمان والإسلام أشهر من أن نورده هنا. وهذا الذي ذكرناه هو ما ذهب إليه أكثر العلماء، ويؤيده ظاهر الآيات والأحاديث الواردة في الإيمان. وذهب بعض إلى أن الإيمان يكون بالقلب واللسان. وآخرون إلى أنه عمل القلب فقط. وبعض إلى أنه إقرار باللسان فقط.. إلى غير ذلك من المذاهب والآراء المختلفة. غير أنه ينبغي أن نشير إلى رأي الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في الفرق بين الإيمان والإسلام، إذ يقول: (إن علماء الإسلام أداروا الحديث حولهما، فقال بعض منهم: كلاهما واحد. وقال آخرون: إنهما ليسا شيئاً واحداً ولكنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. وقد وجدت فرقاً بينهما، وهو: أن الإسلام إلتزام والإيمان إذعان. فالإسلام ولاء للحق وانقياد له وتسليم، بينما الإيمان هو قبول الحق وتصديقه، فالإسلام بلا إيمان لا يكون سبب النجاة، وكذلك الإيمان بلا إسلام لا يكون سبب النجاة)[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، نشر مكتبة دار السلام، ودار الفيحاء لسنة ٢٠٠٠، ج١، ط٣، ص١٠٢-١٠٣. وانظر أيضاً: شرح صحيح مسلم للنووي، ط١٥، دار المعرفة، بيروت، سنة ٢٠٠٨، ج١، ص١٥٧-١٥٨

(٢) المكتوبات، المكتوب التاسع، ص: ٤٢ ط١، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. شركة النسل للطباعة. نشر دار سوزلر. استانبول. سنة ١٩٩٢.

وإذا كان الإيمان هو التصديق قلباً ولساناً وعملاً، فلابد أن يكون المسلم الحق والمؤمن الصادق كشجرة قوية منتصبة تشربت عروقه وجذوره وكل خلاياه بعصارة ذلك الإيمان الراسخ القوي الموجّه، يحمل ثمار الإيمان مزهواً، يغذي محيطَه بألوان تلك الثمار وطعمها ورائحتها الزكية، فيكون من الذين قال رب العزة في حقهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. (الأنفال: ٢-٤).

ومن هذا المدخل فلنطل على رياض (رسائل النور) المزدانة بأزاهير الإيمان الفواحة بعبير حقائق القرآن الكريم وأحكام الإسلام، لنر ما هو دور الإيمان وفعاليته في نفس المؤمن وامتلاك مشاعره وتوجيه عقله واستخدام لطائفه ليكون كلها وحدة مؤمنة ذاكرة مسبحة متوجهة إلى خالقها ممتثلة لأمره مجتنبة لمحرماته. فحين نقطف ثمرة من ثمار رسائل النور التي تغذينا بالإيمان ونتائجه، نجد أن للإيمان الدورَ كلَّ الدور في تثبيت شخصية المسلم، وتقوية إدراكه، وفتح بصيرته، وتطهير نفسه من الريب والأوهام. فهو يقرر في مجال شعوره بالمسؤولية النابع من إيمانه الراسخ عدة موازين لو استخدمها لجعلتْه من المستقيمين. ومنها:

١. الإنسان خُلقَ وحُبُ الموجودات مغروز في كيانه، فهو يستأنس بجمال الحياة وجمال ما في الكائنات من أرض وسماء ونجوم وبحار وأنهار وزروع وطيور وعلوم وفنون.. ويحب المعنويات كالقيم العليا والنبل والشرف والمجد والجمال.. ويحب الشبابية والطفولة والشجاعة وغيرها. ولكن حينما يفكر في كونها زائلة لا بقاء لها فإن جميع هذه المحبوبات وكل تلك المأنوسات تتحول إلى نار محرقة يتلوى على جمراتها، ويحترق باطنه بلهيبها. لأن أشد عذاب يذيب كيان المحب هو فراقه لمن يحبه. ولكن جذوة الإيمان المتقدة في ضمير المسلم تنير له الطريق المستقيم، وتجعله يوجه حبه للموجودات إلى خالقها، لأن الجمال الحقيقي والتذوق الحقيقي لرحيق الحب السرمدي يكمن في التخلي عن كل ما لَه زوال، والتوجه إلى خالق الجمال. وهذه الحالة تجعله يقطع الوشائج بينه وبين الفانيات من مصنوعات الله. فيصيح صيحة إيمان: (يا باقي أنت الباقي)! وتكون هذه الصرخة الإيمانية البلسم الشافي لجروحه: (وبذلك يرى أن جمال الموجودات إشارة إلى جمال مَن هو الباقي السرمدي، وكل ما يظهر من آيات الجمال على الموجودات الزائلة ما هي إلا ظلال لتجليات أسماء الله

الحسنى)! فهو يقول باختصار: (إنَّ ترديد "يا باقي أنت الباقي" يجرد القلب مما سوى الله تعالى، فيجري ما يشبه عملية جراحية فيه، ويقطعه عما سواه تعالى)[١].

٢. إن حب البقاء والخلود في حياة هانئة وادعة هو مما جُبل عليه الإنسان، فهو تواق دوماً إلى عمر مديد، بل إلى حياة سرمدية كما يحب بقاء محبيه. لذا نجده دائماً يطلق الزفرات ويتأوه ويتألم تألماً شديداً حينما يرى رحيل أحبته. وأن الله سبحانه هو الذي أودع في الإنسان تلك الغريزة التي هي مصدر رغباته وميوله إلى امتلاك كل ما يبقي له حياته ويديمها ويحافظ على عيشه المرفه الهنيء، كما تجعله حريصاً يعمل ويكد في عمله، بل ويسلك شتى الطرق ويستعمل مختلف الوسائل وصولاً إلى توفير عيش كريم له.

نعم إن حب البقاء والتشبث بالوسائل والأسباب التي قد تساعد المتوسلين بها لنيل ما يطلبون ظاهرة مُعاشة رافقت البشر منذ فجر الحياة وإلى يومنا هذا. وإنها هي التي تسببت في تدمير بلدان، وهلاك شعوب، وحدوث خسائر ومضار أفزعت البشرية وأذاقتها الأمرين في مختلف المراحل التاريخية. كما إن اللجوء إليها بصورتها المباحة تسببت في عمران بلاد وهناء عباد. فطرق استخدامها ومدى شرعيتها وكيفية اللجوء إليها هي التي تتحكم في نتائجها سلباً وإيجاباً.

نجد الأستاذ النورسي قد شخص تلك الغريزة التي فطر عليها الإنسان، على حقيقتها فيقول: (لولا توهمه البقاء فيما يحبه لما أحب الإنسان شيئاً). واستجابة لهذه الرغبة الملحة المغروزة في داخل الإنسان وتحقيقاً لما يتطلع إليه من حياة خالدة، خلق الله سبحانه وتعالى عالماً باقياً لهذا المخلوق الفاني. فانظر إلى رحمة الله بعباده، إذ لم يشترط عليهم لنيل العقبى بعز وكرامة وهناء، سوى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر مشفوعاً بالعمل الصالح، العمل الذي يعود بعمارة الأرض وإفشاء السلام وإطعام الطعام والتعاون في الخير. ومادام الإنسان محباً للبقاء فجميع أذواقه تتجه إليه. مع أن البقاء صفة الخالق جل في علاه، فلابد للإنسان من أن يشد الأواصر ويربط جسور العلاقة المتينة بذلك الباقي الكريم)[٢].

---

(١) النورسي، اللمعات، اللمعة الثالثة، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط١، شركة (النسل). نشر دار سوزلر، استانبول، ص٢٢-٢٣.

(٢) النورسي، اللمعات، اللمعة الثالثة، ص٢٤.

٣. إن الإيمان التحقيقي يجعل المسلم يشعر بأن خير مَن يهتدي بهديه هو الرسول الأكرم (محمد) صلى الله عليه وسلم ، فهو يحب رسوله لأن حبه جزء أساسي من إيمانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾. (آل عمران: ٣١).

قياس منطقي: (إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود). محبة الله تولد محبة رسوله، ومحبة الرسول تنتج إتباع سنته!

فهذا الإتباع أثر من آثار المحبة الخالصة، وإن شعور الحب المغروز في الإنسان إذا بلغ حد التكامل والنضوج لا يلبث إلا أن يتجسد في أعمال جليلة نافعة، وأقوال مؤثرة صادقة، وتعامل صحيح سليم مع الأحبة والناس جميعاً.

وأبرز مظاهر الصدق في حب الرسول صلى الله عليه وسلم وآله الكرام يتراءى في انتهاج سبيله عبادة وعملاً صالحاً وإلجاماً للنفس الأمارة بالسوء وإيثاراً للأخوة الإسلامية التي هي أوثق عرى التآخي والتواد بين المسلمين. كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾. (الأحزاب: ٢١).

وكيف لا يولى المسلم كل حبه لذلك الرسول العظيم الذي اصطفاه الله لخطابه، وجعله ترجماناً لأوامره ونواهيه؟!

نعم إن المؤمن الحقيقي حينما يتلو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) يهتز كيانه، وتسبح روحه في فضاء لا متناه من عالم رحمة الله بعباده المؤمنين، ورأفة رسوله بهم وشفقته عليهم. ينظر إلى التعبير القرآني الرقيق: (جاءكم) وليس "داهمكم" أو "قاتلكم" أو "متسلطاً عليكم" أو "من بيده سلطة التدمير والتنكيل بكم". فهو مجرد مبعوث لا يمسكم بسوء. (من أنفسكم) أي هو واحد منكم: يتحدث بلسانكم يتزيا بزيكم، يعيش في بيئتكم، ينحدر من أصولكم. (عزيز عليه ما عنتم) يحز في نفسه ما أنتم فيه من مشقة وخسران وضلال وتيه ورجس من عمل الشيطان. (حريص عليكم) تواق إلى خلاصكم مما وقعتم فيه من هرج ومرج، فهو مجاهد صلب، ومدافع أمين عن حقكم في حياة كريمة وفي دفع الأذى عنكم إلى أن يصل بكم إلى نعيم مقيم في الدار الآخرة.

(بالمؤمنين رؤوف رحيم). فهو ليس قاسياً غليظ القلب فظاً، بل له رأفة زائدة بكم، يرحم صغيركم وكبيركم.

فهذا الخطاب الإلهي وما يتضمنه من معان سامية وكريمة ومن نبل رسوله ورحمته ورأفته وحرصه على خير الجميع وهدايتهم للفوز بالجنة يجعل كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يفدى بنفسه وماله في سبيل نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتناق دينه وانتهاج سنته المطهرة، نعم هذا الشعور الإيماني العالي هو الذي وحد كلمة المسلمين وجعلهم كالبنيان المرصوص، فانطلقوا من جزيرة جرداء، فملكوا معظم عالمهم وحكموه برسالة العدل والحق والسلام.

وهكذا يدعونا "النورسي" إلى انبعاث ذلك الشعور القوي المتين مجدداً، ليعلو صرح الإسلام من جديد، وتتنور البشرية بضياء شمس الرسالة المحمدية. فالعدول عن السنة النبوية - كما يقول النورسي - فقدان للعقل وانعدام للوجدان وحرب على الفطرة وإعراض عن الاستقامة. إلى أن يقول:

(إني شاهدت وتذوقت بل ولي ألف تجربة وتجربة في أن دساتير الشريعة والسنة النبوية أفضل دواء وأنفعه للأمراض الروحية والعقلية والقلبية ولاسيما الاجتماعية منها. فلا يمكن لأية فلسفة أو حكمة أن تكون عوضاً عن حقائق الشريعة والسنة المطهرة)[1].

المحور الثاني

(مقارنة بين المؤمن والكافر في نظر الأستاذ بديع الزمان)

١. يحسن بنا أن نوجز ما حكاه الأستاذ النورسي مما حدث له في سجن (آسكى شهر). إذ ظهرت أمامه صورة شخص معنوي كأنه يمثل الشيطان الإنسي بدعوته للسفاهة والضلالة. ومتوجهاً بكلامه إلى الأستاذ النورسي قائلاً: نحن نريد أن نستمتع بلذائذ الحياة، فدعْنا وشأنَنا!

فرد عليه الأستاذ قائلاً:

(مادمتَ ترمي بنفسك في أوحال الضلالة للحصول على لذة جزئية، فاعلم أن ماضيك قد ولى وصار مقبرة مخيفة. فآلام فراق أحبتك وموتهم أزالا عنك تلك اللذة

(١) النورسي اللمعات، اللمعة الحادية عشرة، ص٨٩.

الجزئية، وأن مستقبلك حسب ما توحيه إليك ضلالتك شيء معدوم لأنك عديم الإيمان، لأن كل مَن يأتي الوجود فهو يفارقه، فرأسك الخاوي مصب وابل من جمرات الآلام الموجعة والاضطرابات النفسية، فكل ما تتمناه من لذائذ صارت أثراً بعد عين. لكن لو كنت مؤمناً وتخليتَ عن طريق الضلالة لرأيت بنور الإيمان أن الماضي والمستقبل يتعانقان ويتحولان إلى منازل للسعادة الأبدية).

فقال المعاند الكافر: دعنا نحيا كالحيوان غافلين.

فأجابه الأستاذ النورسي: (أنت لا تقاس بالحيوان ولن تكون مثله! فليس للحيوان ماض أو مستقبل يفكر فيهما. بل يجد لذته في الآن الذي يعيشه ويشكر خالقه، فلا يستشعر المصائب ولا يتألم لشيء، ولكنك أنت الإنسان حسراتك وآلامك ومخاوفك تعكر عليك صفو الحياة، فما عليك إلا أن تتبرأ من عقلك وتعتبر نفسك حيواناً أعجم فتنجو، أو تنور عقلك بنور الإيمان وتذعن لحقائق الإسلام وأحكام القرآن فتغتنم لذات أبدية).

فأجابه المعاند قائلا: لكننا سنعيش مثل الملاحدة الأجانب.

فأجابه النورسي قائلاً: (أنت لن تكون مثلهم؛ فهم إن أنكروا نبياً واحداً آمنوا بغيره من الأنبياء. وحتى إذا لم يعرفوا الأنبياء فهم مؤمنون بالله، وإن لم يؤمنوا بالله فإن لهم سجايا حميدة وصفات إنسانية قيمة جعلتهم يحرزون نوعاً من الكمال. أما إذا أنكر المسلم خاتم الأنبياء، وأنكر حقائق الإسلام، وفسق عن أمر ربه، وجحد مسلمات الدين الحنيف، فإنه لا يرضى بنبي آخر، ولا يؤمن بالله، لأنه ما عرف سائر الأنبياء ولا اهتدى إلى الإيمان بالله إلا عن طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبتبليغه وإرشاده. ولذا كان الناس من سائر الأديان يدخلون الإسلام أفواجاً. بينما لم يصبح مسلم واحد يهودياً حقيقياً أو نصرانياً أو مجوسياً. بل ربما أصبح ملحداً فاسد الأخلاق مضراً بالبلاد والعباد).

فيقول الشيخ البديع: (هكذا أقمت الحجة عليه وأعلمته أنه لا يستطيع التشبه بالملاحدة الأجانب. ولما لم يجد ما يستند إليه خنس وولى إلى جهنم).

ثم يقول: (ما دامت الحقيقة هذه و"رسائل النور" تبث نورها وتكسر عناد المتمردين وترغمهم على الإيمان، فعلينا التمسك بالإيمان والتزام الصراط المستقيم، فلا نقتل

أوقاتنا في سفاسف الأمور وترهات الخيال، بل نحييها بتلاوة القرآن الكريم وفهم معانيه، وقضاء ما فات من صلواتنا المكتوبة، وكسب أخلاق حميدة، فلعل الله سبحانه يجعلنا ممن يغرسون في هذا السجن الغراس لتنبت فيه أشجار مثمرة، ولنسع جاهدين ليكون مسؤولو السجن مرشدين يعدون في هذه المدرسة اليوسفية رجالاً إلى الجنة ولا يكونوا زبانية عذاب)[1].

فمن خلال هذه الحكاية التمثيلية وجدنا الأستاذ النورسي ينقل إلينا أفكار الكافر المتوجه إلى الدنيا توجهاً كلياً، فَهمُّه التمتع بلذائذها الفانية، وإنه يطلب عبثية حيوانية لا هموم له ولا همة سامية. ورأينا كيف أن الأستاذ أظهر له قيمته الحقيقية في أنها دون مرتبة حيوان أعجم، طبقا لمفهوم الآية الكريمة: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. (الأعراف: ١٧٩).

ثم إنه لا يبلغ شأن الملاحدة الأجانب، فهم إن خسروا آخرتهم بكفرهم وضلالهم، فقد كسبوا دنياهم بعملهم الإيجابي وبسجاياهم الطيبة التي تسببت في بناء مجتمع سلمي آمن، ساده نوع من العدل، وانحسرت فيه ظواهر الخيانة والاعتداء والتطاول على النفس والمال دونما وجه حق، إذ إنها إن لم تنعدم فيهم بصورة نهائية، فهي في حكم المعدوم لقلتها.

٢. يؤكد الأستاذ النورسي على أن الكفر ليس إلا تدميراً وتخريباً، وتكذيباً للحق ودعاته، وإفساداً وإهانة للموجودات كلِّها، وإنكاراً لتجليات أسماء الله الحسنى في الحياة والكون كله. نعم، إن ذلك كله هو واقع الكفر، فإن من يكفر بالله تعالى وبأنبيائه الكرام والكتب السماوية المقدسة يهون عليه أن يدمر كل ما لا يُرضي نفسَه الأمارة بالسوء ولا يستجيب لإشباع رغباته وميوله غير المشروعة، فإن فرعونية نفسه تجعله أنانياً لا يرى غير ذاته، ولا يرى المشروعية في شيء إلا فيما يلبي حاجاته ويحقق له لذائذ الحياة ومباهجها الزائلة. لذا فإنه يلجأ إلى القضاء على كل ما لا يروق له أو يراه عائقاً أو يتوهمه حاجزاً دون الوصول إلى آمالِه ومطامحه غير المشروعة. بينما إذا أسلم المرء وجهه لله، وأحسن في عمله، وقال الحق وعمل به، وآمن بالأنبياء والمرسلين واتبع كتاب الله الحكيم وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فإن إيمانه هذا يدفعه

(١) النورسي، الشعاعات، الشعاع الحادي عشر، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص٢٤٧-٢٥١.

إلى التزام الحق، وقتل نوازع النفس الشريرة، وإلى بعث دواعي التخلق بمكارم الأخلاق نمطاً لحياته ونبراساً يهتدي به ويستنير بنوره. فيندفع إلى بناء الحياة وإفشاء السلام وترسيخ المحبة والأخوة بين أفراد مجتمعه وإشاعة روح الإخلاص والعمل، فيكون دائماً في ذكر الله والدعاء إليه، والتضرع له. فيصبح من الذين يبدل الله سيآتهم حسنات: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾: (الفرقان: ٧٧).

إن المتجه بعبوديته لله تعالى يجد أمامه فرصة كبيرة، إذ هو بعجزه وفقره وضعفه يتحول إلى مرآة عاكسة لتجليات أسماء الله الحسنى، فسعادته الأبدية تكمن في أنه يوجه روحه وقلبه وعقله ولطائفه وقواه كلها إلى الحياة الأبدية، وبذلك ينال مبتغاه فيفوز برضا الله تعالى[1].

٣. إن الإيمان يجعل صاحبه إنساناً كاملاً، بينما الكفر يجعله حيواناً مفترساً، مع أنه في ذاته ضعيف عاجز. فإذا عقدنا مقارنة بين الإنسان وبقية ذوى الحياة حينما يأتيان الدنيا نرى أن الأحياء عامة من غير الإنسان تتعلم شروط الحياة وتمارسها في وقت قصير من عمرها، ففي ساعتين أو يومين أو شهرين تتعلم كل ما يلزمها لإدامة حياتها، فما تتعلمه العصافير والنحل مثلاً خلال عشرين يوماً، هو ما لا يمكن للإنسان أن يتعلمه خلال عشرين سنة! فضلاً عن أن الإنسان حينما يأتي إلى الحياة الدنيا يأتيها عاجزاً قاصراً حتى لا يستطيع أن يثبت على قدميه خلال سنتين من عمره. وهذا هو الذي يرينا أن الإنسان عليه أن يجهد ويعمل ويسير رويداً رويداً نحو التكامل وذلك عن طريق التعلم وبذل جهوده في إنجاز العمل الصالح، وأن يعبد الله الذي خلقه، ويدعوه أن يوفقه لعمل ما يرضيه، ويشعر بما أنعم عليه من نعم لا تعد ولا تحصى. فيجعل بإيمانه بالله وباليوم الآخر من عجزه وفقره وضعفه جسوراً لامتلاك عرش الأرض، ويجعل من عبوديته لله قوة لا تقهر. فيتحول إلى طائر يطير بجناحي عجزه وفقره في ملكوت الله تعالى عبداً صالحاً مرضياً: (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه). (البينة: الآية الأخيرة).

نعم هكذا فهم بديع الزمان ماهية الإيمان، وهكذا كشف سر قوته وسريان أثره الفاعل في لطائف الإنسان وعقله وقلبه، إنه إكسير القوة وخميرة العزة وبلسم كل جرح.

---

(١) النورسي، الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، الترجمة الكردية للسيد فاروق رسول يحيى، ص٤٤٦.

فالتضرع والدعاء إلى الله وإظهار الضعف والعجز والتذلل لخالق الكائنات عوامل الاقتدار للمؤمن. لأن الله عز وجل هو سنده ومعينه وهاديه، وكفى بالله نصيراً.

٤. نقطة أخرى تجعل المؤمن والكافر على طرفي نقيض. وهي:

إن الإيمان هو ذلك الجسر المتين المحكم الذي يجعل العبد الصالح موصولاً أبداً بربه، يعبده ويمتثل أوامره، يرى في كل ذرة ومجرة وفي كل ما تقع عليه عينه أو يطرق سمعه أو تذوقه ذائقته أو تصل إليه إدراكاته العقلية، انعكاساً أو تجلياً لأحد أسماء الله الحسنى، فكل شيء عنده جميل محبب لأنه من آثار خلق الله ومن نعمه الباهرة، فيزداد بذلك شكراً لله على آلائه الوفيرة وتتسع آفاق فكره لجلالة من بيده ملكوت السموات والأرض، فلا تمر لحظة من عمره إلا وهو يزداد إيماناً وتضرعاً ودعاء واعتصاماً بحبل الله المتين، فهو أبداً قلب عامر ولسان ذاكر. فيستحق بعبادته هذه جنة عرضها السماوات والأرض، وذلك منتهى الإكرام الإلهي وأعلى منزلة يمن الله تعالى بها على عباده المخلصين.

بينما الكفر هدم لجسر علاقة الإنسان بربه، وفك الارتباط بين المرء وخالقه، وظلمات تحجب جمال الصنعة الإلهية أمام نظر الكافر، وآفة مهلكة تقضي على البصر والبصيرة، وتذهب بالوعي والواعية وبالإدراك والمدركة. فتجعل صاحبها عيناً بلا أثر، أصم أبكم كأنه الحجر، وبهذا يتردى إلى قعر جحيم بُرزت للغاوين. فيصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾. (البقرة: ٢٥٧).

فالذين عبدوا الطاغوت وأضلهم الشيطان يتخبطون في ظلمات كفرهم ولا يحط بهم الكفر إلا في جحيم أبدية.

بينما المؤمنون المستمسكون بهدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يأخذ الله بأيديهم، فيبددون ظلمات الشر والفساد والضلالة، ويصلون إلى عالم النور، عالم الإيمان الذي لا ينزل بهم إلا في جنات عدن حسنت مستقراً ومقاماً، فيصدق فيهم قوله سبحانه: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾. (البقرة: ٢٥٧).

٥. إن الكفر يجعل صاحبه جشعاً طامعاً في الدنيا، حاقداً على الناس، عدواً لكل ما هو خير وعدل وصدق، متوحشاً، أنانياً. ولهذا نجد الكفار غالبين متسلطين في الدنيا

بحكم ما يمتلكون من صفات ضارة ومن أدوات القهر والتسلط، فيرون مكافأة ما يعملون في الدنيا. ولكن المؤمن يرى جزاء بعض سيآته في الدنيا، فصارت الدنيا سجناً له، وفقا للحديث الشريف: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[١].[٢]

يؤكد بديع الزمان بشكل مقنع أن الكافر أو من يطلب الفلسفة الكافرة هو فرعون ذليل[٣]، وذلك لأن المتبع لنهج الفلسفة المضرة أناني بالطبع، يحب ذاته أكثر من أي شيء آخر، يطيع كل من يحقق له أدنى منفعة شخصية. إنه عنيد عاص جاحد، لكنه ذو نفس ذليلة حقيرة. فهو يقبل أقدام من هم في صف الشياطين خداعاً وتضليلاً، فيقبل منتهى الذل وغاية الخسة. ومثل هذا الشخص الانتفاعي لا يُرى منه سوى إشباع رغباته وسلوكه طرقاً ملتوية لنَيل أدنى لذة فانية في حياته.

ولكن على نقيض ذلك الكافر المخادع، نجد طالب الحق من أتباع رسول الإسلام وتلامذة القرآن الكريم منقاداً لله مطيعاً، يرى منتهى عزه في عبوديته الخالصة، فهو أبداً عزيز النفس، لا يقبل المهانة ولا يركع إلا لخالقه. فهو مستغن بالله عن غيره، يملك رقة ونكران ذات وقوة وإخلاصاً. وبذلك يكسب رضا الله ورضا الناس ويفوز بجنة خالدة.

٦. يقول النورسي: يرى أصحابُ الفلسفةِ الكافرة القوةَ مستندَ الحياة الاجتماعية، وينسجون دساتير الحياة وقوانين تنظيم المجتمع من الصراع الدائم والمنازعات والاختلافات، فلا تركن تلك الفلسفة إلى الحق ومنطق العقل السليم. وصراعُ المصالح هو في ذاته من عوامل الفرقة والخصومات، ومبعث العداوات والاصطدامات، فالسالك سبيل القوة يخرج دوماً عن الحدود المرسومة. وإن رعاية المصالح المادية فقط تؤدي إلى التزاحم والتدافع واشتداد الصراع واستفحال دواعي العداوات. وكل ذلك يجعل المجتمع الواحد أشتاتاً لا تتلائم وجماعات تتخاصم. ولكن المهتدين بهدي القرآن الكريم وسنة رسول الله المطهرة، يرون الحق نقطة استنادهم، وإن غايتهم مرضاة الله سبحانه، ويجعلون الرابطة الدينية فوق كل الروابط، فلا عنصرية ولا قومية سلبية، فالحق مرتكزهم والحق غايتهم والحق وسيلتهم. لا يبالون بأهواء النفس ولا يصغون لما تمليه

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد رقم ٢٩٥٩، وابن ماجه في الزهد رقم ٤١١٣.
(٢) النورسي، المثنوي العربي النوري، ص١٥٨.
(٣) الكلمات، الكلمة الثانية عشرة، ص١٩٢.

شياطين الشر على أوتار النفوس الأمارة بالسوء، وبذلك تكون تجارتهم رابحة وحياتهم هانئة ونفوسهم مطمئنة.

٧. إن الكافر إذا ترك سكر الجهالة ونظر بعين العلم إلى كفره فهو مضطر- حسب إذعانه لكفره - أن يحمل على ظهر ذرة واحدة ألف قنطار، وأن يقر ويقبل بأن كل ذرة تملك ملايين المطابع والقوالب والآلات للطبيعة، مع إطلاعها الكامل ومعرفتها الدقيقة، مشفوعة بمهارة فائقة على جميع دقائق الصنعة في كل المصنوعات. بمعنى أن تكون على علم تام بعمل كل ذرة ذرة في كل مصنوع، والتعاون بينها وكيفية أدائها لعملها، لأن كل ذرة من الهواء مثلا تصلح لأن تمر على كل نبات وكل زهرة وكل ثمرة وكل شجرة وأن تعمل كما تريد في بنيتها وطبيعتها، وأن تعرف تمام المعرفة كيفية عمل جميع الأجهزة والأجزاء في كل ما تدخله وتعلم حقيقتها وحاجاتها وكيفية عملها. مع أن الثمرة الواحدة - مثلا - متضمنة لصورة مصغرة ومثال حقيقي دقيق لشجرتها، وكل خلية في الكائن الحي صورة مصغرة لذلك الكائن، وإن نواة كل ثمرة هي بمثابة صحيفة أعمال شجرتها، وفيها تأريخ حياتها، فالثمرة الواحدة بل نواة صغيرة منها تنظر إلى الشجرة ككل متكامل، بل تنظر إلى نوعها وإلى أرضها التي نبتت فيها. وعلى هذا فان الثمرة تعادل في دقة وعظمة وعجائب صنعها جسامة وكبر وعجائب الصنعة في تكوين الأرض كلها أو أي كوكب سيار آخر. فهل يعقل أن تكون ذرة جامدة لها من العقل والعلم والبصيرة وحسن التدبير والقدرة على التصرف والإرادة وغيرها من الصفات ذلك الحد الذي تعجز العقول عن تصوره؟ فيا عجباً للكافر الجاحد! كيف يدعي العقل والذكاء والتبصر بالأمور، مع أنه يتبطن بكفره في قلبه ونفسه مثل هذا الحمق والبلاهة![1]

ولكن المؤمن يرد كل ذلك إلى الصانع الحكيم ويقول: إنه من صنع الله، وإن كل مخلوق هو تجل لأسماء الله الحسنى، ويردد قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. (يس: ٨٢، ٨٣) فيؤمن إيماناً راسخاً بأن للأحد الصمد سكة على كل شيء تشهد بأنه ملكه وصنعه. فالإيجاد البديع، في جود واسع، وإتقان مطلق، وسهولة تامة، وانتظام دقيق، وسرعة فائقة، واتزان راسخ، وأحسن خِلقة، يكفي كل ذلك في أن يرد كل مصنوع إلى خالق

(١) المثنوي العربي النوري، ص٨٣-٨٥.

الكائنات الذي ليس كمثله شيء. وهذا أمر يختص به مَن لا يعجزه شيء، وله علم وإرادة وقدرة كلها بلا نهاية.

المحور الثالث

بعض ثمار الإيمان

نجد أن الإيمان التحقيقي الراسخ في نفس المؤمن وقلبه وعقله يجعله يجني ثماره في الدنيا والآخرة. ومن تلك الثمار التي تقوي شخصية المؤمن وتجعله قدوة حسنة، صفات نبيلة قلما نجدها كلاً أو بعضا لدى غير المؤمنين الصادقين ومنها:

١. الإخلاص. وما أعظمَه!

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾. (الزمر: ٢-٣).

لقد وضع الأستاذ النورسي لكسب الإخلاص التام ونيل ثماره عدة دساتير تضمن لمن يطبقها الفوز به. واختصاراً لتلك الدساتير نشير إليها دونما خوض في تفاصيل كل منها لضيق المجال، وهي:

أ. ابتغاء مرضاة الله في العمل. فإذا كسب المسلم رضا الله وقبل الله منه عمله الخالص فلا تأثير لإعراض الناس عنه.

ب. عدم انتقاد الأخوة المؤمنين العاملين في خدمة القرآن الكريم، وعدم التفاخر والتحاسد بينهم. لأن العاملين في هذه الخدمة هم أجزاء أو أعضاء جسم واحد، كل يكمل عمل الآخر ويعاونه في أداء عمله. ولا يكون عائقاً أمامه.

ج. إخلاص العمل وإتقانه لإعلاء الحق بحيث يؤدي إلى الإيثار. فيدعو طلاب رسائل النور إلى تفضيل إخوانهم على أنفسهم في المراتب والمناصب والتكريم.

د. الاعتزاز بالمزايا الإيجابية للإخوة في الله، وعدّها من المزايا الشخصية له. فكما أن الفناء في الشيخ دائر لدى أهل التصوف، فمصطلح (الفناء في الإخوان) وتحويله إلى دستور، أمر جميل بالعاملين في الخدمة الإيمانية والقرآنية[١].

(١) اللمعات، اللمعة الحادية والعشرون، ص٢٤٢-٢٤٥.

ونظراً لأهمية الإخلاص في نفس المؤمن وعمله، يؤكد الأستاذ النورسي على: (أن محور النجاة ومدارها الإخلاص)[١]. فاعتبره محور النجاة من عذاب الله سبحانه، لأن الإخلاص يعني ترك الرياء والنفاق والحرص على أجر دنيوي مقابل العمل الأخروي. فمن يعمل لأجل امتثال أوامر الله وإعلاء كلمته آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وداعياً إلى الأخوة والتعاون والالتزام بشريعة الله، دونما غاية دنيوية، فإنه يفوز بالإخلاص، ويستحق المثوبة، فالله لا يضيع أجر المحسنين. فيؤكد النورسي على أن المخلص في عمله ليس له دافع غير امتثال الأمر الإلهي ونيل مرضاته. ويستشهد بقول الشاعر:

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيفٌ هوىً يُبغى عليه ثواب

فيقول: إنَّ هذا الحب الخالص قد أودعه الله سبحانه في فطرة الإنسان ولاسيما الوالدات عامة، فشفقة الوالدة مثال بارز لهذا الحب الخالص[٢]. ويقول أيضاً: ذرة من العمل الخالص أفضل عند الله من أطنان من الأعمال المشوبة. وليس في هذا القول إلا إصابة قلب الحقيقة وفقاً للآية الكريمة: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. (البقرة: ٢٦٥). فطلب مرضاة الله وتثبيت النفس بمعنى توطينها على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها فلا يتبعها بالمن والأذى، دليل الصدق والإخلاص في الإيمان والعمل. أو بمعنى قهرها بالمجاهدة فهو غرض آخر موافق لظاهر الآية الكريمة، ويؤيدها قوله تعالى في سيدنا أبي بكر الصديق، رضي الله عنه: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾. (الليل: ١٩-٢١).

بينما إذا قورن الإخلاص بالرياء الذي هو مُحبط للعمل الصالح، فهذه الآية الكريمة تؤكد على ذلك الإحباط: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِن نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. (البقرة: ٢٦٦).

فالمن والأذى في الإنفاق يفسد عمل المتصدقين. والرياء وطلب الشهرة والمنفعة الدنيوية سبب لإحباط العمل النافع عند الله. فهو كالإعصار الحارق لجنة من نخيل

(١) نفس المصدر، اللمعة السابعة عشرة، ص٢٠١.
(٢) نفس المصدر، ص٢٠١.

وأعناب فيها من كل الثمرات، رعاها وبناها من بلغ الكبر من عمره وله ذرية ضعفاء. فكم يعقب ذلك الإحراق من حسرات وآلام لذلك الشيخ العاجز الذي ذهب جهده وماله هباء منثوراً. ويؤكد هذا قوله سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً﴾. (الفرقان: ٢٣).

فالإخلاص بالمعنى الذي فهمه بديع الزمان النورسي (رحمه الله) هو الذي يتحول إلى خميرة صالحة تجعل ثمار العمل طيبة، وتجعل ما يزرعه الإنسان لنفسه قولاً وعملاً يؤتي أُكُله كل حين. أما الرياء الذي يتخمر داخل قلب المرء المسلم يجعل ما يصدر عنه قولاً وعملاً كالحنظل المر والعلقم الزؤام، فإنه يفسد كل ذلك العمل والقول والنوايا، ولا يبقي لمن يتصف به سوى الخيبة والخسران في الدارين.

ويكفينا رمزاً للإخلاص وكتاباً مقروءاً فيه في عصرنا هذا، ما قام به الأستاذ النورسي وما أنعم الله به عليه من قدرات وطاقات ومواهب تفجرت فانبجست منها مئة ونيف وثلاثون رسالة من (رسائل النور) التي هي بحق ودونما مبالغة في القول مُنقذة للإيمان، مُسكتة للمعاندين، بل هي رجوم للشياطين من الإنس والجن. فلولا إخلاصه ونكران ذاته وابتغاؤه مرضاة الله في تأليفها والإعراض التام عن الدنيا وملذاتها، لما كان في مستطاعه أن يأتي بتلك التآليف البديعة المثمرة، زادنا الله تشرفاً بها وبمحتواها وببركاتها، وجعلنا ممن شملهم دعاء مؤلفها لهم بالخير والسعادة في الدارين.

٢. الشهامة المحفوفة بالشفقة والرحمة، فإن المؤمن الحقيقي في نظر النورسي هو الذي (لا يرضى الذل لنفسه أمام الظالمين ولا يلحقه بالمظلومين)[١].

وهذه الصفة هي أدق ما يعبر عن شخصية المسلم المنقاد لأمر الله عز وجل المتبع لأحكام القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالشجاعة، والثبات، والذود عن الإسلام، والجهاد بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، ورفض الظلم والاضطهاد، ومقاومة الطغاة والظالمين، ونصرة المظلومين، وعدم إلحاق الأذى بهم، كل ذلك صفات إيجابية يتمتع بها من أسلم وجهه لله وهو محسن. وهذا هو الذي يطابق قوله تعالى في وصف المؤمنين الأوائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُم... ﴾. (الفتح: ٢٩).

---

(١) صيقل الإسلام (الخطبة الشامية)، ص٥٠٠.

٣. الصدق. يقول بديع الزمان: (الصدق أس الأساس في الإسلام، وهو حجر الزاوية في الحياة الاجتماعية)[١].

فكل دين سماوي، وكل كتاب منزل من الله على رسله، وكل الشرائع التي اختارها الله لعباده في مختلف مراحل الحياة منذ بدء الخليقة وإلى آخر رسالة سماوية وهي الإسلام الحنيف، كل ذلك مبني على الصدق. فأظهر ثمرة للإيمان هي الصدق في القول والعمل والنوايا، ولولا الصدق لما كان للأنبياء أتباعهم ولما كان لكتبهم دور الإرشاد والهداية، ولما كسب الناس المتبعون لهم خير الدنيا ونعيم الآخرة. فالصدق الإيماني هو الذي جعل فئةً قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله. بينما الرياء والنفاق والكذب صفات ذميمة تصاحب الكفار. فالصدق هو الذي جعل خاتم الأنبياء سراجاً منيراً عُرج به إلى السماوات العلى بأمر ربه، فبات في أعلى عليين، وكشف كنوز حقائق الإيمان فكان قاب قوسين أو أدنى. فهو أروج بضاعة وأثمن متاع، والصدق هو الذي جعل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عدولاً، لا طعن في أقوالهم فيما يروونه. وهو الذي جعل العلماء المسلمين منائر للحق والحقيقة، فهم مأجورون في بحوثهم واجتهاداتهم أصابوا أم أخطئوا.

٤. التعاون. وهذا ما أشار إليه الأستاذ النورسي في مواضع عدة من أجزاء رسائل النور. بعدم انتقاد الإخوة العاملين في خدمة القرآن الكريم، وعدم إثارة نوازع الغبطة بالتفاخر والاستعلاء. فيطالب الأستاذ كلَّ مِن يخدم القرآن الكريم وجميع طلاب رسائل النور إلى التوحد والترابط والتآزر كأعضاء جسم واحد، فيقول:

(نحن بحاجة ماسة بل مضطرون إلى الاتحاد والتساند التام. لأن هذا الاتحاد والتساند سبب لإعداد قوة معنوية تفوق ما يتصوره المرء أحيانا، فإن لم تتحد الأرقام المكونة من أربع أربعات، بل كُتب كل منها بصورة مستقلة ومنفردة أو منفصلة عن الأخرى فإن مجموعها هو (١٦). أما إذا اتحدت وتراصت واتفقت بسر الأخوة ووحدة الهدف والمهمة الواحدة، فإنها تكسب قيمة (٤٤٤٤) وقوتها)[٢].

---

(١) نفس المصدر، ص٥٠٦.

(٢) النورسي اللمعات، اللمعة الحادية والعشرون، ص٢٤٣.

المحور الرابع

محاسبة النفس وزجرها

هذه وإن كانت ثمرة يانعة من ثمار الإيمان التحقيقي وحقيقة من حقائق الإسلام الصحيح، لكننا أفردنا الكلام عنها في محور مستقل لأنها رمز الخضوع لله سبحانه ومظهر أساسي من مظاهر المرء المسلم، وإنها الحاكمة المطلقة على ضبط تصرفات الإنسان ونوعية تلك التصرفات وتوجيهها. يقول الإمام أبو حامد الغزالي، رحمه الله:

(النفس مشترك بين معنيين:

١) المعنى الجامع لقوى الغضب والشهوة في الإنسان، وهذا المعنى أو الاستعمال هو الغالب على الصوفية، فهم يريدون بها الأصل الجامع للصفات المذمومة في الإنسان. فيقولون: لابد من مجاهدة النفس وكسر شهوتها، وإليه الإشارة بحديث: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك[١].

٢) اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، التي هي أحد معاني القلب، فيعجز أكثر العقول عن فهم حقيقتها لاختلاف أحوالها، فإذا سكنت تحت الأمر الإلهي وعارضت الشهوات سميت (النفس المطمئنة) وإن لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للقوة الشهوانية سميت (النفس اللوامة). وإذا تركت الاعتراض وأذعنت لدواعي الشهوات سميت (النفس الأمارة بالسوء)[٢].

والمقصود بالمحاسبة والزجر والإلجام هو النفس الأمارة بالسوء. يقول بديع الزمان الشيخ النورسي:

(إن الذي يحب نفسه الأمارة بالسوء – غير المزكاة - ويعجب بها، هو في الحقيقة لا يحب أحدا غيرها، وحتى لو أبدى للغير حباً فلا يحبه من صميم قلبه)[٣]!

---

(١) رواه البيهقي في الزهد من حديث ابن عباس، وله شاهد من حديث أنس كما قاله الزبيدي في شرح الإحياء، ج٧، ص٢٠٦.

(٢) رسالة روضة الطالبين وعمدة السالكين، المطبوعة ضمن مجموعة رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، سنة ٢٠٠٦م، ص٣٢.

(٣) اللمعات، اللمعة الثامنة والعشرون، ص٤٤٧، ترجمة إحسان قاسم الصالحي.

إن هذا التشخيص الدقيق لذلك المرض الفتاك وأثره السيء على أخلاق المرء المسلم وتصرفاته وأفعاله، يرينا أن المعجب بنفسه أناني بالطبع، يلهث وراء تحقيق مصالحه الذاتية، دونما نظر إلى مشروعية تلك المصالح أو عدم مشروعيتها، فهو يحب الشهرة وذيوع الصيت وجلب الأنظار إليه بأي ثمن، نرجسي إلى حد لا يقبل أي انتقاد عليه، بل يدافع بكل ما أوتي من قوة عن نوازع نفسه الأمارة بالسوء، ويبرر لها بأكاذيب ومبالغات لا يصدقها أي عقل أو منطق. فيكون مثالاً شاخصاً لمفهوم قوله تعالى: ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾. (الفرقان: ٤٣).

ولكن هيهات أن يحترق بنيران تلك النفس الفرعونية العاصية المتمردة سوى ذات صاحبها، فيصدق فيه المثل الكردي: (ذهب ليلتحي فأضاع شاربه) القريب في معناه من المثل العربي (رجع بخفي حنين). فبدلا من أن يقبل عليه الناس يعرضون عنه وبدل مدحه يذمونه، لأنه أصبح ثقيلاً عليهم، فعمله المشوب بالرياء والتصنع وغلبة هواه وشهواته على اتزانه الشخصي، وحبه لذاته وإعجابه بالنفس كل ذلك من أسباب وأده وهو في الحياة.

وعلى أساس ظهور هذه الآثار السيئة الكثيرة لغلبة النفس الأمارة بالسوء، نجد الأستاذ النورسي يوجه طلابه بقوله: (راقبوا أنفسكم، لئلا تخدعكم نفوسكم الأمارة بالسوء من زاوية قياس الآخرين بالنفس ومن حيث سوء الظن بهم)[1].

ما أعظمَ هذا التوجيه! أروعْ به من نصيحة قلما ينطق بها غير أولئك الذين اشترى الله منهم أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة! فالنورسي لشدة حرصه على كسب طلابه الحياة الأخرى في نعيم مقيم ونيلهم رضا الله سبحانه، يرشدهم إلى ترك الأنانية وهجر ملذات الدنيا والإعراض عن دواعي النفس الأمارة بالسوء والمطالب العاجلة، لأن كل ذلك أمور تافهة لا تساوي شروى نقير. فعليهم أن يعملوا لأُخراهم ويجاهدوا النفس والشيطان ويلجموا النفس الأمارة بالسوء بل ويقتلوها بالسيف الألماسي الذي هو إيمانهم القوي الراسخ في أعماقهم النابع من نور حقائق القرآن الكريم وأساسيات الدين الإسلامي الحنيف والسير على السنة النبوية الصحيحة المطهرة التي لا عوج فيها ولا أمت.

---

(١) الشعاعات، الشعاع الثالث عشر، ص٣٨٩، ترجمة إحسان قاسم الصالحي.

ثم نجد الأستاذ البديع يتفيأ بظلال الآية القرآنية الكريمة: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (آل عمران: ١٨٨).

فالآية الكريمة تصف هؤلاء القوم من اليهود الذين كانوا يفرحون بما فعلوا وأحبوا أن يُحمدوا به، فهم كانوا يحرفون نصوص التوراة ويفسرونها بتفسيرات باطلة، وما زالوا يفرحون بصنيعهم هذا، بزعمهم أنهم أهل دين وعفاف وصدق. أو نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان للمسلمين نفاقاً بغية وصولهم إلى تحقيق غاياتهم ومصالحهم، وكان ينتظرون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحمدهم على ما يظهرون من إيمان كذباً وبهتاناً.

وهذا حال أكثر الناس الذين غلبت عليهم النفس الأمارة بالسوء، إذ يأتون بجميع أنواع الحيل والخداع، ويذهبون في أقوالهم وأفعالهم مذاهب شتى في سبيل حصولهم على منافع دنيوية عاجلة، فتجدهم في غاية الفرح والسرور إذا وجدوا مطلوبهم وحققوا مبتغاهم، ويحبون أن يحمدوا على أفعالهم وتصرفاتهم ويوصفوا بأنهم أهل البر والصدق والعفة والدين[1].

وعلى ضوء تلك الآية الكريمة يخاطب الأستاذ البديع سعيد النورسي نفسه قائلاً:

(يا نفسي العاشقة للشهرة واللاهثة وراء المدح، يا نفسي الضالة! إذا كانت للبذور التي هي سبب لنشأة وظهور آلاف من ثمار شجرة التين، وإذا كانت قد الكروم وأغصانها التي تتدلى منها مئات العناقيد، كانت هي بنفسها وعن طريق إبداعها ومهارتها وطاقاتها تسببت في إيجاد تلك الثمار والعناقيد، فيجب على كل من انتفع بها أن يشكر ويحمد تلك البذور وتلك الكروم، وإن كان هذا الكلام حقاً فأنت يا نفسي يمكن أن يكون لك حق بالاعتزاز بذاتك والتباهي بها، لحملك تلك النعم التي حملتها، ولكنك لا تستحقين شيئاً سوى الذم والزجر، لأنك بما لديك من جزء اختياري لا يمكنك أن تكوني بمستوى قد الكرم ولا بذور التين، فأنت بتباهيك وفخرك تنقصين من قيمة تلك النعم وتستبيحين حقوقها، بل إنك لعدم شعورك بالعرفان بالجميل وبسبب جهلك وإهمالك للشكر، تخرجين تلك النعم عن دائرة النعمة وتعتبرين نفسك مالكة لها،

(١) انظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، مطبوعات المكتبة التوفيقية، تحقيق عماد زكي البارودي وتقديم هاني الحجاج، بدون رقم الطبعة وسنة الطبع، القاهرة، الجزء ٩ من المجلد الخامس، ص١١٢-١١٣.

وتغتصبينها من مالكها الحقيقي. فليس لكِ الفخر بل الشكر، ولا تليق بك الشهرة بل التواضع والحياء، وما عليك إلا الاستغفار وملازمة الندم)[١].

نرى كيف أنه ذهب إلى كشف ما تحدثنا به النفس الأمارة بالسوء وكيف يريها ذاتها على حقيقتها ثم يزجرها ويسد فاها، ويلطمها لطمة تأديب موجعة. فالنفس الأمارة بالسوء تعشق الشهرة، تلهث وراءها، تتباهى بما تسمع من مدح وإشادة بها، ولكنها لا تدري أو تتناسى أنها في تيه وضلال، وهكذا ناداها بديع الزمان (يا نفسي الضالة)! وجاء بمثال شاخص أفهمها عن طريقه أنها ليست بشيء، بل هي أقل من جماد إذ إنها بما أعطاها الله من جزء اختياري وشعور وإدراك عليها أن تحمد الله وتنقاد له، ولكنها تتناسى نعم الله عليها فتتفرعن وتزداد أنانية وتزعم أنها مالكة لها، فتقع في أوحال الضلالة وتتحول إلى وكر لحيل شيطانية. ولهذا تستحق كل زجر وإهانة، لأنها في الحقيقة ليست بشيء. ولا لها أي دور في وجود تلك النعم، بل إنها هي التي تسببت في ضلال صاحبها فتناسى أمر ربه وأذعن لدواعي تلك النفس الشريرة ومطالبها الرذيلة. ويفهمها النورسي أن عليها أن تشكر رب النعم وتتواضع، بل وتخضع لأوامره، يأخذ بها الاستحياء إلى أن تسكت عن النطق بكلمات الإعجاب بذاتها أو طلب الشهرة، وتسكن إلى عبادة ربها الجليل. وتسأل منه العفو والمغفرة. كما يُفهمها أن كمالها ليس في أنانيتها وفرعونيتها، بل هو كامن في انتهاجها لطريق الإسلام الحنيف، والخضوع لله، والتسليم لحقائق القرآن الكريم. فإنها ليست مصدراً ولا فاعلة، بل هي موضع تنفيذ أمر الله تعالى، وحين لا تقبل الخير المطلق تتحول إلى عش للشر والسيآت[٢].

ويمضي النورسي في زجر النفس وإلجامها قائلاً: إن النفس ترى أن كل خير وحسنة وصلاح تعود إليها، فيجرها هذا الاعتقاد إلى الغرور والعجب، فعلى المرء أن لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر[٣]. لأنه إذا استسلم لرغبة النفس هذه ونسب المحاسن والكمالات إليها وتناسى فاطره الجليل ولم يتقبل كل ذلك نعماً منه تعالى، فإنه بذلك يدفع نفسه الأمارة بالسوء إلى أن تشتد وتتقوى وتتفرعن، فتجعل صاحبها المتأثر بتأثيراتها السلبية حطباً لنار جهنم. أما إذا زجرها صاحبها عن هذه

---

(١) الكلمات، الكلمة الثامنة عشرة، ص٢٤٨-٢٤٩، ترجمة إحسان قاسم الصالحي.

(٢) نفس المصدر، الكلمة الثامنة عشرة، ص٢٤٨-٢٤٩، المقام الأول، (النقطة الأولى).

(٣) نفس المصدر، الكلمة السادسة والعشرون، الذيل، ص٥٦٠.

الادعاءات الفارغة وأراها قصورها وعجزها وأن كل نعمة هي من الله فقد قام بتزكية النفس، لأنه وصل إلى مقام الشكر فحمد الله، فكان من الذين قال فيهم رب العزة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾. (الشمس: ٩).

وذلك لأن النفس إذا صحت بزجر صاحبها لها، وفهمت أن قوتها في عجزها وغناها في فقرها إلى الخالق الرحيم، وعلمت أن كمالها في معرفتها بعدم كمالها، فقد وضعت أولى خطواتها في طريق التزكية المطلوبة، أي إخضاع النفس لله والأخذ بزمامها إلى أن تنقاد لأمر الله وتدع أهواءها الباطلة وتترك ما يوسوس إليها الشيطان. وهذه العملية هي التي تسمى بالمجاهدة، وهي عملية مستمرة إلى أن يرحل صاحب النفس إلى الدار الآخرة، فلا يمكن أن تنتهي في حلقة من حلقات المجاهدة. لأن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم، فيستغلها أثناء غفلاتها، أو غفلات صاحبها عن القيام بواجب المجاهدة. فالغفلة عن المالك الحقيقي ورب الناس، سبب قوي لفرعونية النفس، فتعارض أحكام الله لأنها تتوهم أن لها دائرة لحاكميتها[١].

واستئصالاً لنازعة النفس الأمارة بالسوء وعجبها وكبريائها، يقول الأستاذ النورسي: تزعم النفس أنها حرة مستقلة في شؤونها، فتدعي - ظلماً - نوعاً من الربوبية. وللخلاص من هذا المأزق وتلك الحالة يجب أن يعلم المرء أن كل شيء ليس له وجود أو عدم أو نشأة بالمعنى الاسمي. بل له ذلك بالمعنى الحرفي، فهو يقوم بدور مرآة تظهر أسماء الله الحسنى[٢].

وبناء على هذه الحقيقة، يرى الأستاذ النورسي أن تزكية النفس في هذه المرحلة هي أن تعرف تمام المعرفة أن عدمها في وجودها وأن وجودها في عدمها، لأنها إذا اعتبرت نفسها قادرة حرة مستقلة تتصرف كما تشاء فإنها تغرق بل تنعدم في ظلمات ومتاهات لا يمكن أن يحاط بها، إذ كيف يمكن لعاجز فقير ذليل أن يدعي الربوبية. فإنه بادعائه ذاك ينحط إلى أسفل سافلين. فالوجود الحقيقي يكمن في شعور المرء واعتقاده بأنه عاجز فقير ليس إلا تجلياً لأسماء الله الحسنى، فدوره في الحياة دور مرآة عاكسة لا غير، وهذا الدور هو دور الموجودات كلها. فهي مصنوعة من الله ومحكومة بأمره وماضية في شؤونها بتدبير الله: (يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد).

---

(١) النورسي، المثنوي العربي النوري، ص١٢٩.

(٢) النورسي، الكلمات، الكلمة السادسة والعشرون ص٥٦٠.

ويرى بديع الزمان أن المرء يجب ألا يزكي نفسه ويبرأها من كل عيب ومنقصة، فزجرها وإلجامها ومحاسبتها وعدم الكف عن إسكاتها ومعارضتها، هي التي في ذاتها تزكية دائمة، كما قلنا، لا تتوقف عند حد. فقوله تعالى: (فلا تزكوا أنفسكم) يرينا أن عملية الزجر والمحاسبة والمعارضة يجب استمرارها. أما الوقوف عنها فهي تزكية بمعنى آخر أي إن صاحبها راض عنها لا يرى فيها ما يدعو إلى الزجر والمحاسبة، وفي ذلك خطر شديد، إذ تنبعث من جديد، فتهلك المرء بأهوائها ومطالبها ودواعيها الشريرة.

وحقاً إن النفس الأمارة بالسوء أعدى عدو للإنسان، فتتسبب له في الوبال والضلال، وتوقعه في الدناءة إلى أن تهلكه. فالواجب قطع خصالها وخلالها وشرهها وشركها وطمعها وولعها.

يقول الغزالي: أفضل وسيلة للسلامة من شرها هي مخالفتها[1]، كما قال شاعر:

إذا طالبتك النفس يوماً بشهوة وكان عليها للهواء طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنماهواها عدوٌ والخلاف صديق

وأخيراً.. ما علينا بهذا الصدد إلا أن نردد قوله سبحانه: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ﴾. (يوسف: ٥٣)

خلاصة البحث

١) إن الإيمان في نظر الأستاذ النورسي هو الموجه والمحرك والهادي للمؤمن، وإن المرء بلا إيمان موجه يصبح من الضالين، فمنبع الشرور والفساد والظلم والفوضى والإرهاب وكل ظواهر السوء في الحياة هو من عدم الإيمان بالله وباليوم الآخر، وإن كل خير ومنفعة وسلام واطمئنان وفوز بحياة طيبة في الدارين منبعه الإيمان بالله وباليوم الآخر.

٢) لا يمكن للكافر المنفلت عن حدود ما رسم الله لعباده من نظم وشريعة وأخلاقيات أن يكون عنصراً إيجابياً في الحياة، فمرد أعماله وغايتها ونتيجتها: الهدم، وسخط الناس، وتعكير صفو الحياة، وظلام القلب، وتضليل الناس. بينما المؤمن

(١) الغزالي، سرُّ العالَمين، ص ٧٣.

الحقيقي الملتزم بشريعة الله تعالى وسنة خاتم الأنبياء يكون دائماً في خدمة حياة آمنة مطمئنة، ويكون عنصر الخير والعطاء والعمل الصالح النافع للدارين.

٣) إن الصدق والشجاعة والإخلاص والتعاون وكل مظاهر وصفات الخير هي ثمرة الإيمان. وإن الكذب والنفاق والتهرب من الواجب والخيانة والفوضى وكل مظاهر وصفات الشر هي آثار للكفر والنفاق والضلالة.

٤) إن المؤمن مهما كان قوي الإيمان ملتزماً متقياً، عليه دائماً مراقبة نفسه الأمارة بالسوء ومحاسبتها وزجرها، وعدم تزكيتها، لأن أهواءها ومطالبها ونوازعها خاضعة للانبعاث دائماً بنفثات شيطانية، وإن الشيطان للإنسان عدو مبين.

﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾. (البقرة: ٣٢)

(الله أكبر.. إذ هو القدير العليم الحكيم الرحيم الجميل النقاش الأزلي الذي ما حقيقة هذه الكائنات كلاً أو جزءً إلا خطوط قلم قضائه وقدره وتنظيمه وتقديره بعلم وحكمة، من أظهر الظواهر أن الجمال الظاهر ليس إلا ملك المظاهر. فسبحان من اختفى لشدة ظهوره، وسبحان من استتر لعدم ضده، وسبحان من احتجب بالأسباب لعزته).

اللهم صل على سيدنا محمد من الأزل إلى الأبد عدد ما في علم الله، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

١ - القرآن الكريم.

٢ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، نشر مكتبة دار السلام، ودار الفيحاء، ٢٠٠٠.

٣ - أبو حامد الغزالي:

* روضة الطالبين وعمدة السالكين. ضمن مجموعة رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦م.

* سرُّ العالَمَين وكشف ما في الدارَين. ضمن مجموعة رسائل الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦م.

٤ - أبو زكريا يحيى النووي. شرح صحيح مسلم. ط١٥، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨.

٥ - بديع الزمان سعيد النورسى، كليات رسائل النور:

* الشعاعات. ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي. ط١، شركة النسل للطباعة. نشر دار سوزلر. استانبول. ١٩٩٣م.

* صيقل الإسلام. ترجمة وتحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي. ط١، شركة النسل للطباعة. نشر دار سوزلر. استانبول. ١٩٩٥م.

* الكلمات. الترجمة الكردية للسيد فاروق رسول يحيى. ط٢ مطبعة مهارت. دار إحسان للنشر. طهران. ٢٠٠٦

* اللمعات. ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي. ط١، شركة النسل للطباعة. نشر دار سوزلر. استانبول. ١٩٩٣م.

* المثنوي العربي النوري. تحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي. ط١، شركة النسل للطباعة. نشر دار سوزلر. استانبول. ١٩٩٤م.

* المكتوبات. ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي. ط١، شركة النسل للطباعة. نشر دار سوزلر. استانبول. ١٩٩٢م.

٦ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، بدون رقم الطبعة وسنة الطبع، القاهرة.

٧ - المرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٩٨